٦

الثقافة وبناء المعرفة في مجتمع محلي بحث في الأنثربولوجيا الثقافية

Culture and Knowledge Construction in Community Research in Cultural Anthropology

م.م نورا محسن جاسم

الجامعة المستنصرية–كلية الاداب–قسم الأنثروبولوجيا والاجتماع

Noora Mohsen Jassim

Al-Mustansiriya University

College of arts-Department of Anthropology and Sociology

كلمات مفاتيح: الانثروبولوجيا المعرفة، الثقافة, المجتمع المحلي, البناء المعرفي.

Keywords:, knowledge Anthropology, Culture, Local Community, Knowledge Construction .

مستخلص العربية:

تعتمد المعرفة عادةً على التعلم في الممارسة وتشكل النظام الذي يتكون من البيانات والمهارات والقدرات والممارسات التي تنشئ شبكة من المفاهيم حول العالم الذي يعيش فيه الناس, ويتضمن نظام المعرفة المحلية الطرق التي يكتسب الناس فيها المهارات, وكيف يقيمونها وكيف يستخدمونها لحل المشكلات الاجتماعية, وهذه عملية تتضمن توليد المعرفة وتخزينها واستخدامها ونقلها وتعلمها في الحياة اليومية كممارسة الثقافة في البيئة المحلية التي اعتبرت اساس المعرفة.

Abstract:

Knowledge is usually based on learing in practice and forms the system that consists of data skills the capabilities and practices that create a network of concepts about the world in which people live, and that includes a system Local knowledge the ways in which people acquire skills, how they value them, and how they use them to solve problems Social problems, this is a process that involves the generation, storage, use, transmission and learining of knowledge in life Daily culture as a practice in the local environment, which was considered the basis of knowledge.

المقدمة:

أن المعرفة المحلية هي وعي المجتمع المحلي بتشارك العلاقات الاجتماعية والثقافية واللغوية والسياسية والفكرية عبر الزمان والمكان الذي يستند على خبرة الناس وإدراكهم بما يحيط بيهم من خلال الممارسات والتجارب الممتدة الى زمن طويل والمحكومة بمجموعة من العلاقات والنظم والطقوس والمعتقدات والتصورات فضلاً عن الأثار

المترتبة على تنظيم المعيشة اليومية وإعادة ترتيب المجتمع المتضمنة لكل من المعرفة والأساليب الفعالة التي تمكن من الاستغلال طاقاتهم الكامنة من اجل إشباع حاجاتهم المادية والمعنوية, وحل المشاكل الاجتماعية, وفهم الحقائق عن طريق العقل المجرد أو بطريقة إكتساب المعلومات من خلال التجارب وتفسير نتائجها ومعرفة ايجابياتها وسلبياتها, وإن فعل المعرفة هو في آن بيولوجي ودماغي وعقلي ومنطقي وألسني وثقافي واجتماعي وتاريخي فلا تستطيع المعرفة أن تنسلخ عن الحياة البشرية والأواصر الاجتماعية.

لقد اعطى علماء الانثروبولوجيا جانباً كبيراً من توجهاتهم بمفهوم المعرفة وعمليات الادراك الثقافي تحت لواء فرع الانثروبولوجيا المعرفية وتسليط الضوء على الاساليب التي يصور بها الانسان الواقع والاشياء التي تحيط به.

ويرى علماء الانثروبولوجيا المعرفية ان الثقافة ليست ظاهرة مادية ولا تتكون من الاشياء والناس والسلوك, وإنما هي تنظيم هذه الأمور, وهي صور الأشياء التي يمتلكها الناس في الذهن او العقل لتبويب مظاهر السلوك وأنواع التفاعلات في انماط وقواعد ثقافية ومعرفية وصور ادراكية تميز بها المجتمعات البشرية.

وأن الهدف من الدراسة هي معرفة كيفية إنشاء منتجات معرفية جديدة وفق الثقافة السائدة في المجتمع المحلي, والوصول إلى مستوى أعمق من الفهم يتحقق من خلال التداول والحوار التفاعلي من إجل تحسين مستوى الفكر لخلق بيئة تتناسب مع اشباع حاجات الأفراد. أن التأكيد على أهمية ودور المعرفة تتطلب بدورها الى خلق خلفية ثقافية واسعة تستوعب وتدرك المعلومات والابتكارات بصورة صحيحية لإجل بناء قاعدة معرفية تسهم في إرتقاء المجتمع المحلي.

أولاً: التوجه والبناء النظري

أن الهدف الاستراتيجي والرئيسي للانثروبولوجيا هي دراسة الانسان وثقافته, فهو يهتم بدراسة الانسان العاقل من حيث هو كائن عضوي حي, يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة. حيث يقوم بأعمال متعددة ويسلك سلوكاً محدداً يتناسب مع ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه. (هلال أ.، ١٩٧٩، صفحة ٩)

تهدف الانثروبولوجيا الى معرفة كلية شمولية للإنسان في علاقته بأمتداداته التاريخية ومحيطه الجغرافي, وان الموضوع الرئيسي للأنثروبولوجيا يتمثل في تحديد القوانيين العامة لحياة الانسان في المجتمع سواء عند الشعوب البدائية أو الشعوب الحديثة المعاصرة (تيلوين، مدخل عام في الانثروبولوجيا، ٢٠١١، صفحة ٢٢) حيث تهتم بالملكات العقلية كالفكر وما يمثله من تمثلات ومن ثم علاقة هذه التمثلات بالفكر والواقع بالاضافة إلى ذلك فهي تهتم بصيرورة اكتساب المعارف وكيفية تثبيتها في الذاكرة لكي تتحول الى مفاهيم ورموز تصف العلاقة بين المجتمع الانساني والفكر, وكيف ان الافراد يتصرفوا ويفكروا بشأن الكائنات والأحداث في عالمهم من حيث الخبرة المنظمة عقلياً والقدرة المعرفية لتفسير ماهو مدرك في البيئة المحيطة. (تيلوين، المصدر السابق، صفحة ٢٥) **فالمعرفة العقلية** هي الانبثاق الأقصى لتطور دماغي يكتمل فيه التطور البيولوجي للأنسنة, ويبدأ التطور الثقافي للإنسانية. **المعرفة الدماغية** هي نفسها تطور فريد لمعرفة تلازم كل تنظيم حي, ولا يمكن الحياة أن تكون قابلة للبقاء والعيش من دون معرفة, بمعنى أن العقل البشري الذي لا يمكن أن يتصور دون الدماغ الذي لا يمكن أن يتصور دون حوسبات بيئية وتراجعية متعددة الجوانب, فلا تنفصل المعرفة الإنسانية في أصلها وتطورها عن الفعل فإنها تخلق وتستعمل عدداً من الاستراتيجيات لحل المشاكل التي يطرحها عدم اليقين وعدم اكتمال المعرفة. (موران، المنهج معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة (الجزء الثالث)، ٢٠١٢، الصفحات ٣٠٣-٣٠٤)

إذا تنوعت مقولة المعرفة وتكاثرت عندما ننظر إليها لاستطعنا شرعاً أن نفترض تضمنها التنوع والتعدد, وعندئذ لاتستطيع المعرفة ان تختزل إلى مقولة واحدة كما لو كانت معلومة أو ادراكاً أو وصفاً أو فكرة أو نظرية, يجب بالأحرى ان نتصور فيها

أشكالاً ومستويات عديدة يتقابل فيها كل شكل ومستوى, ومن جهة أخرى تتضمن كل معرفة بالضرورة مايلي:

١- الكفاية (أي قدرة على أنتاج المعارف)

٢- نشاطاً معرفياً(أي الإدراك) الذي يتم وفقاً لهذه الكفاية

٣- علماً (ناتجاً من هذا النشاطات)

أن الكفايات والنشاطات المعرفية البشرية تقتضي جهازاً معرفياً هو الدماغ الذي هو آلة بيولوجية وفيزيائية وكيميائية هائلة, وهذا الدماغ يقتضي الوجود البيولوجي لفرد من الافراد ولا تستطيع الاستعدادات المعرفية البشرية ان تنتعش إلا داخل ثقافة أنتجت وحفظت ونقلت لغة ومنطقاً ورأسمالاً من المعلومات ومن معايير الحقيقة في هذا الإطار بالذات ينمي العقل البشري معرفته وينظمها مستخدماً الوسائل الثقافية المتوافرة لديه.

فالمعرفة هي ظاهرة متعددة الأبعاد أي أنها كل حدث معرفي تضافراً بين العمليات الطاقوية والكهربائية والكيميائية والفيزيولوجية والدماغية والوجودية والنفسية والثقافية واللغوية والمنطقية. (موران، المصدر السابق، صفحة ٢٣)

-إن بعضاً من أهم الإثباتات لدراسة الأنثروبولوجية لما كان يُسمى **بأصل الإنسان:** إنبعاث "الإنسان العاقل" من الخلفية البدائية العامة التي كان يعيش فيها من أمثلة هذا التقدم نذكر ثلاثة ذات أهمية خاصة:

(١) نبذ النظرة التكاملية أو التسلسلية للعلاقات بين التطور الجسدي والتقدم الثقافي للانسان, لمصلحة نظرة أخرى تقول بالتراكب أو التفاعل بينهما.

(٢) الاكتشاف بأن الجزء الأكبر من التطورات البيولوجية التي أنتجت الإنسان الحديث وفصلته عن أسلافه المباشرين قد حدثت في الجهاز العصبي المركزي, وبخاصة في الدماغ.

(٣) الإدراك بأن الانسان من الناحية الجسدية هو حيوان ناقص غير مكتمل, وبأن أوضح مايميزه عن غيره ليس مجرد القدرة على التعلم بقدر ماهو كمية ونوعية الأشياء التي يتوجب عليه تعلمها قبل أن تكون لديه القدرة على العمل.

إن النظرة التقليدية إلى العلاقات بين التطور البيولوجي والتطور الثقافي للإنسان كانت تقول بأن الأول, أي التطور البيولوجي كان قد تم قبل أن يبدأ الثاني, أي الثقافة. وبعبارة اخرى كان التطور طبقياً, فقد تطور الإنسان من الناحية الجسدية من خلال الآليات المعتادة للتغيير الجيني الوراثي والانتقاء الطبيعي حتى وصل تركيبه التشريعي إلى المرحلة التي نشهدها اليوم, ومن ثم ابتدأ التطور التراثي وعند مرحلة معينة من التطور السلالي عند الإنسان حدث تغير جيني هامشي من نوع ما مكن الإنسان من إنتاج الثقافة وابتدء من هذه النقطة اتخذت استجابة الإنسان للتكيف مع ضغوط المحيط شكلاً جديداً وأصبحت ذات طبيعة ثقافية أكثر منها جينية. وفيما كان الإنسان ينتشر في أنحاء الأرض كان يرتدي الفراء في مناطق المناخ البارد ويلبس المئزر في المناطق الدافئة ولم يغير الطريقة الفطرية في الاستجابة لحرارة البيئة وصنع الإنسان الاسلحة لتطوير قدراته الافتراسية, وطها الأطعمة ليوسع من دائرة غذائه, وأصبح الإنسان إنساناً حتى اجتاز فيه حاجزاً ذهنياً معيناً, كان بمثابة نقطة اللاعودة, ومن هناك أصبح قادراً على نقل المعارف والعقائد والقوانيين والأخلاق والعادات حسب العبارة الواردة في تعريف سير إدوارد تايلر للتراث إلى ذريته وجيرانه من خلال التعليم والتربية وأصبح قادراً على اكتسابها من أسلافه وجيرانه من خلال التعلم وبعد ذلك أصبح تطور جنس البشر معتمداً كلياً تقريباً على التراكم الثقافي, وعلى النمو البطيء للممارسات المتعارف عليها بدلاً من التغير الجسدي العضوي. (غيرتز، ٢٠٠٩، الصفحات ١٥٣-١٥٤)

ترى وجهة النظر الإدراكية للثقافة بأن المعرفة ضرورية لكي يتمكن الفرد من المشاركة في جاليةً ما تتضمن في الوقت نفسه **المعرفة السلوكية, والمعرفة الإجرائية** تدل معرفة

الجُمل على المعتقدات التي يمكن تمثيلها بواسطة جمل, مثلاً (القطط والكلاب حيوانات أليفة, التدخين مضر للصحة, لايمكن للمولودين الجدد ان يزحفوا) هذه أقوال تدل على معرفة بتلك الامور ويسعى الاثنوغرافيون كثيراً الى دفع المتكلمين الى استعمالها. إما **المعرفة الإجرائية** فهي تدل على معرفة "كيف" تتم الامور, ويجب عادةً أستخلاصها من التمعن في كيفية قيام الناس بأعمالهم اليومية وايجاد الحلول لمشاكلهم إذا أردنا ان نقود سيارة مثلاً, علينا ان نعرف ليس فقط ما تفعله كل قطعة فيها, مثلاً إذا ضغطنا على دواسة معينة تسرع السيارة أو تبطئ وهذه من **المعرفة السلوكية**, ولكن علينا أيضاً ان نعرف بالضبط متى وكيف نستخدم هذه المعرفة, وعلينا ان نعرف الاجراءات أي سلسلة الأعمال التي يجب القيام بها لكي نستطيع الوصول إلى غايتنا, مثلاً الإسراع أو التوقف, وعلينا أيضاً ان نعرف ما إذا كان الوضع الحالي يحتاج إلى القيام بعمل معين.

لقد أهتم الأنثروبولوجيون في الستينات بأنظمة المصطلحات مستعملين إياها لدراسة العالم الإدراكي لمجموعة معينة بما أن الرموز الإدراكية هي في معظم الاحيان لغوية وفعالة, فمن المفترض إذا ان تعطينا دراسة الاستعمال الدلالي مثمرة لتخطيط النظام المعرفي ونعرف بفضل وجود التصرف الكلامي, إذ يعتمد انثروبولوجيون المعرفة على معرفة الأصناف اللغوية والعلاقات فيما بينها لكي يبرهنوا ان قسما من الثقافة يعني المشاركة في المعرفة التعبيرية وقواعد الاستنتاج الضرورية لفهم ما إذا كانت جملة معينة صحيحة أم لا حسب المسلمات المتبعة. (دورانتي، الأنثروبولوجيا الألسنية، ٢٠١٣، صفحة ٦٣).

لقد كانت بداية اهتمام الأنثروبولوجيين في دراسة أنماط التفكير هي **بالقيم الانسانية** وعندما بحثوا ودرسوا القيم, فقد ركزوا على القيم المشتركة لدى الشعوب المبحوثة حيث وضح "جون بيتي" أن اهتمام الانثروبولوجيين لم يكن محدداً في القيم فحسب بل في المفاهيم والافكار المرتبطة بالأشياء وليس الأشياء في حد ذاتها فهم لم

يحددوا قيمها الاجتماعية لذلك فقد كانت القيم المدروسة مرتبطة بمختلف أنماط السلوك المعتاد (زنقوفي، ٢٠٢١، الصفحات ١١٣-١١٤). ويلاحظ عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي **ليفي ستراوس** في ختام دراسته الحديثة عن الأفكار التي تستخدمها الشعوب القبلية بعنوان **العقل البدائي** ان التفسير العلمي ليس كما كان يخيل لنا في تبسيط المعقد بل هو بحسب قوله في أستبدال تعقيد غير مفهوم تماماً بتعقيد أقل غموضاً, وفي مايتعلق بدراسة الانسان يرى أن بوسع المرء أن يمضي إلى أبعد من ذلك ويحاجج بأن التفسير غالباً ما يتضمن استبدال صور معقدة بصور أبسط منها بينما يكافح بطريقة ما للمحافظة على الوضوح المقنع الذي يتماشى مع الصور البسيطة, ولكن الشائع في الوقت الحاضر هو أن التقدم العلمي يتكون من تزايد التعقيد لما كان يبدو في الماضي مجموعة أفكار بسيطة, وبالتالي القدرة على إمكانية استبدال ماهو معقد وغير مفهوم بما هو معقد ولكنه مفهوم وهو ما أشار إليه **ليفي ستراوس**. (غيرتز، مصدر سابق ذكره، صفحة ١٣١) ويرى الاستاذ مالينوفسكي أن ثقافة أي مجتمع تنشأ في إطار إشباع الاحتياجات البيولوجية للأفراد, والتي حصرها في التغذية والإنجاب والراحة البدنية, والأمان والاسترخاء, والحركة والنمو, وتنشأ النظم الاجتماعية عادةً لتحقيق تلك الرغبات, ولكي تستمر الثقافة في أداء وظيفتها من ناحية إشباع تلك الحاجات الإنسانية الضرورية فمن الضروري أن تتوفر اللوازم المادية كأدوات الصيد والحرب مثلاً, ولابد أيضاً من وضع قواعد ونظم واجبة الاحترام والطاعة والتطبيق لأحكام الضبط الاجتماعي داخل اي مجتمع, علاوة على ضرورة وجود تقسيم للعمل على أساس الجنس والسن, وتحديد الأدوار والمكانات بين الافراد مما يؤدي إلى نشأة تنظيم اجتماعي متماسك له صفتا الاستقرار والاستمرار كل هذا يعتمد على قدرة الافراد وخبرتهم في تنظيم حياتهم فأي مجتمع محلي يتطلب دراسة الانماط السلوكية, ودراسة الانساق من خلال التفاعل المستمر مع البيئة كما وضح الاستاذ مالينوفسكي بإن الانساق تتضمنها احتياجات جوهرية تتطلب الإشباع للمحافظة على استمرار هذه

الانساق وبقاءه بشكل متوازن ومنسجم, فوظيفة اي نسق داخل المجتمع موزعة بين تحقيق التكامل والثبات والمحافظة على نمط التفاعل والتكيف من خلال معرفة الافراد وادراكهم بالوعي الجمعي للحفاظ على الجماعة. (فهيم، ١٩٨٦، صفحة ١٢٩)

ثانياً: الثقافة أساس المعرفة

يعتبر الانثروبولوجيين الثقافة هي اساس للمعرفة في كل المجتمعات فإذا كانت الثقافة تكتسب, إذ يمكن أن نفكر بها كنوع من معرفتنا للعالم, للعالم وارد غودونوف ward Goodenough قول مشهور يلخص ما يمكننا تسميته وجهة النظر المعرفية للثقافة, كتب وارد غودونوف ... تتضمن ثقافة أي مجتمع كل ما على الفرد ان يعرفه لكي يتمكن من العمل بشكل يرضي اعضاءة, وان يقبل أي واحد منهم أي دور في المجتمع. بما ان الثقافة تشكل ما على الناس ان يتعلموا, خارج إرثهم البيولوجي, فيجب ان تكون منتج العلم, وهي المعرفة بمعناها العام ولو أن هذا المعنى يظل نسبياً. نلاحظ مما سبق أن الثقافة ليست ظاهرة مادية, فهي لاتتشكل من أشياء وناس وتصرفات ومشاعر بل هي تنظيم كل ذلك فما يوجد في فكر الناس هو بالاحرى اشكال الأشياء, ونماذج إدراكها, والتعلق بها أو تفسيرها.

هناك تماثل لغوي فيما يقوله غودونوف هنا إن معرفة الثقافة تشبه معرفة اللغة وعلاوة على ذلك فأن وصف ثقافة ما هو كوصف لغةً ما, وبالتالي فأن هدف الوصف الاثنوغرافي هو كتابة (قواعد ثقافية). (دورانتي، مصدر سابق ذكره، صفحة ٦٢)

هنا يجب ان ندخل الثقافة لا على مستوى سطحي بل بطريقة أساسية ويجب القطع مع التصور الذي يعتبره الانثروبولوجية للمعرفة كمتغيرات مصاغة بشكل مختلف حسب المتغيرات الثقافية والاجتماعية والتاريخية, فالمعرفة البشرية لم ترتبط بالدماغ وحده, فالعقل يتشكل ويبزغ بشكل دماغي–ثقافي ومن طريق العقل (بالتعليم والتربية) تنطبع ثقافة مجتمع ما في الدماغ بالمعنى الحرفي لكلمة تنطبع, أي انها ترسم عليه طريقها ودروبها ومنعطفاتها, وان الشرط الاجتماعي–الثقافي للمعرفة ليست فقط بمثابة

تحديدات خارجية ترسم حدود المعرفة وتوجها وإنما هي بمثابة قدرات داخلية ملازمة لكل معرفة داخل مجتمع معين بل هي الشرط الاساسي لتشكيل المعرفة في المجتمع. (موران، مصدر سابق ذكره، الصفحات ٣٤٧-٣٤٨).

يعتبر معظم علماء الأنثروبولوجيا ان القدرات المعرفية للإنسان أمر مسلم به مصمم ثقافياً حيث يكتسب الرعاة قدرة مفرطة على إدراك سمات ماشيتهم, جنباً الى جنب مع مفردات متخصصة كبيرة قد يعرف الأشخاص الذين يستخدمون التلسكوبات عدداً أكبر من الإجرام السماوية فمن خلال تطور ادوات ومهارات محددة تعمل المجموعات الثقافية على توسيع العالم المعرفي لإعضائها في اتجاهات مختلفة. هذه الامتدادات مهما كانت مهمة ومثيرة للاهتمام ليست دليلاً على النسبية وبالتالي فإن تطور القدرات المعرفية وتمايزها الذي تم تحقيقه دفع العقل البشري الى ابعد من ذلك عن طريق الانتقال والاتصال الثقافي (Sperber، صفحة p.39). أن هذا التواصل والتبادل بين مختلف الثقافات عبر التاريخ هو ما تسميه القواميس والموسوعات الحديثة **مثاقفة Acculturation** وهذا المصطلح ينتمي الآن إلى الجهاز المفاهيمي لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية وقد راج استخدامه في هذين العلمين منذ عام ١٨٨٠ لكنه أضحى اليوم مفهوماً جوالاً يتنقل بين كثير من الفروع المعرفية العلمية والأدبية, ولا يمكن للمهتمين اليوم بإشكالية المثاقفة أن يستغنوا عن الرجوع إلى أبحاث ودراسات عالم الاجتماع الفرنسي **روجيه باستيد** في هذا الميدان فإليه يرجع الفضل في إدخال هذا النوع من الدراسات إلى الفكر الفرنسي في إضافة نوعية جديدة تتمثل خاصة في اقتراحه التميز بين المثاقفة والتلقائية, والمثاقفة القهرية والمفروضة, وأخيراً المثاقفة المخطط لها والمبرمجة, وهي تهدف إلى إعادة تشكيل ثقافة معينة وفق منظور فلسفي أو أيديولوجي محدد.

يدل مصطلح مثاقفة في الحقل المعرفي المذكور على ظاهرة الثقافات البشرية وتأثرها بعضها ببعض وذلك بفعل اتصال واقع في ما بينها أيا تكن طبيعته أو مدته. كما يشير إلى العمليات والآليات التي بمفعولها تتأثر ثقافة جماعة بشرية معينة وتتكيف جزئياً أو كلياً مع مكونات ثقافة جماعة بشرية أخرى هي في حال اتصال بها, أي هي بمنزلة رد فعل كيان ثقافي معين تجاه تأثيرات وضغوط ثقافية تأتيه من خارجه وتمارس عليه مباشرة أو عن طريق غير مباشر, علانية أو بكيفية خفية وتدريجية, وكمثال على هذه الحاله نذكر أن وسائل الإعلام والاتصال والتواصل الحديثة لم تعد تستدعي بالضرورة أن يكون الاتصال بين الثقافات في عالم اليوم مباشراً بالمعنى المألوف ويرجع الفضل في ذلك إلى الإمكانات الهائلة التي يوفرها حالياً التطور المذهل الذي تشهده ميادين المعلومات والمعرفة وتكنولوجيات البث الفضائي, وشبكات الإنترنت. وخلال سيرورة عمليات المثاقفة تقوم كل ثقافة بما يمكن تسميته مجازاً **تصديراً ثقافياً**, أي بنقل بعض سماتها الثقافية إلى الكيان الثقافي الآخر وفي الوقت ذاته تستورد منه بعضاً من سماته الخاصة. (الدواي، ٢٠١٣، الصفحات ٣٦-٣٧)

يحاول العلماء عند مراجعة أدبيات الأنثروبولوجيا المعرفية بوصفها اتجاه بحثي للأنثروبولوجيا الثقافية من خلال شرح طريقة تبادل المعرفة والابتكار الثقافي والميراث عبر الزمان والمكان, وبأساليب ونظريات البحث في العلوم المعرفية (خاصة علم النفس التجريبي وعلم الأحياء التطوري) حيث انخرط العلماء في وصف وتفسير الأنماط الثقافية المختلفة من خلال التعاون الوثيق مع العديد من التخصصات المقاربة كاللغويين وعلماء الموسيقى وغيرهم من الخبراء, لذا تستخدم الأنثروبولوجيا المعرفية اللغة كبوابة للإدراك البحثي وإن هدفها العام هو تحليل اللغة لاستكشاف القواسم المشتركة بين الثقافات المختلفة والطرق التي ينظر بها الناس إلى العالم. (Chen L. .L.-Y., 2018, p. 2)

حيث تعطينا الاعمال الحديثة للأنثروبولوجيين الثقافيين عن كيفية تفكير الناس في حياتهم اليومية وجهة نظر مختلفة عن الثقافة كمعرفة لا يعتبر هؤلاء الباحثون المعرفة

شيئاً يوجد فقط في العقل فتقول الانثروبولوجية (جان ليف) Jean Lave إننا إذا ما راقبنا كيف يجد الناس حلولاً لمشاكلهم في حياتهم اليومية, نكتشف أن التفكير موزع– ممتد وليس مقسماً بين العقل والجسم والنشاط والظروف المنظمة ثقافياً, عندما نقول إن المعرفة الثقافية موزعة أجتماعياً فأننا نعني:

١– الفرد ليس دائماً نهاية عملية الاكتساب

٢– أننا لانحصل جميعاً على نفس المعلومات ولا نستعمل نفس الاساليب للوصول الى اهدافنا.

تعني النقطة الاولى: ان المعرفة لاتوجد دائماً في عقل الفرد, والبيئة التي تسمح بحل بعض المسائل, وفي العمل الجماعي لعدة عقول وأجساد لديها نفس الاهداف وفي المؤسسات التي تنظم أدواراً وتبدلات الافراد وهذا ما يعتقده الانثروبولوجي الفكري إدوين هاتشينز Edwin Hutchins الذي استنتج من دراسته للملاحه على متن سفينة بحرية أنه على وحدة التحليل المثالية للكلام عن ما يسمح للفكر بالوجود ان تتضمن الموارد الانسانية والمادية التي تسمح بإيجاد حلول للإشكالات. إن وحدة التحليل المثالية للكلام عن التغير الفكري تتضمن بيئة التفكير الاجتماعية والمادية يشكل العلم إعادة ترتيب ترمي إلى التأقلم مع نظام معقد وتصعب مقاومة وجهة نظر الغرب التي تقلص وحدة التحليل إلى الفرد المحاط بجلده, أو حتى إلى نظام الرموز الفكري الذي يحتمي من العالم بعيداً تحت جلد الإنسان ولكن النظام المعقد الذي يهمنا كما رأينا يتضمن شبكة تتناسق فيها التواصلات داخل وخارج الذين يقومون بمهمة أو أخرى, وان مثل هذا الاختلاف في توزيع المعرفة بين المساهمين والأدوات لايهم فقط حقول المعرفة السرية أو التقنية أو المتخصصة فقط (كالطب, والملاحة, والفنون, والحرف, والخطاب) وانما يشمل أيضا النشاطات والممارسات اليومية تستلزم هذه النظرة ان الشخص يحتاج ان يعرف ويستخدم ليس فقط مجموعة من التعابير لكي يصبح عضواً فعالاً في مجموعة

ما. نرى كل يوم مدى ضعف الفكرة التي تقضي ان الانسان يتعلم القيام بشيء ما بواسطة مجموعة من التعليمات لذلك أهمية التجربة التي نعيشها بفضل معايشتنا لأعمال شخص خبير في مجال ما والحاجة الى وجودنا داخل العمل الذي يمارس قبل ان نتمكن من القيام به وحدنا. (دورانتي، مصدر سابق ذكره، الصفحات ٦٧-٦٨)

إما كليفورد غيرتز يعتبر الثقافة تواصلاً ولكنه يعكس الانسان غير الواعي للفكر المجرد فلا يسعى غيرتز إلى فهم التشابهات الضمنية بين الثقافات, بل يسعى إلى تأسيس منهج أبحاث يدرس عملية التفسير غير المتناهية التي تميز تجربة الانسان وهو يسعى إلى ايجاد طرق لفهم ثقافات الانسان من دون الاعتماد على النظريات النسبية التي تستخدم قوانين عامة للسلوك.

يعتبر غيرتز انه علينا الكشف عن الشبكات التي تشكل الثقافة بواسطة الابحاث والافكار الإثنوغرافية التي قد تؤدي إلى عدة وجهات نظر, ويركز غيرتز على الثقافة كمنتج للتفاعل الانساني "الثقافة ..عامة..لاتوجد في ذهن الفرد..." يخلق البشر الثقافة وعليهم في الوقت نفسه تفسيرها, ويعني ذلك أن الثقافة لاتوجد في ذهن الفرد وأنما في الخارج ومن حولنا, ينتجها البشر ويتاح لهم تفسيرها.

تعتبر الظواهر الثقافية من وجهة النظر هذه, أعمالاً تؤمن التواصل عندما نراقب الناس وهم في نقاش مفتوح, أو في جنازة, يقومون بتصرفات منسقة لاتحتوي على رؤى للعالم ولكن تنتجها ايضاً بما في ذلك مفاهيم محلية للشخص أو (للنفس) وهو مفهوم مركزي بالنسبة إلى غيرتز وللكثير من الأعمال الانثروبولوجية مثلاً, يشير الوقوف في الطابور للدخول الى مسرح ليس فقط الى وجود معلومات ومعرفة شخص كيفية الحصول على مقعد للجلوس بين الجمهور – مما يشكل موضوع دراسة بأمتياز بالنسبة للأنثروبولوجيين الإدراكيين – بل ايضاً إلى ان هذا الوقوف ينقل معه أفكار النظام العام وحقوق الافراد والتعاون المتبادل, وينقل وينتج ايضاً مفهوماً معيناً لماهية الشخص الذي عندما يرفض شخص ما الوقوف في الطابور, فإنه يعد تصرفاً تواصلياً, ورفضاً علنياً للمبادئ العامة ونقداً للحقوق والفروض التي يقتضيها هذه المبادئ. (دورانتي، المصدر السابق، الصفحات ٧٦-٧٧)

أن لكل مجتمع بشري ثقافته الخاصة المتميزة التي تختلف في مجموعها عن ثقافة أي مجتمع أخر, إلا أنه من الصواب ايضاً أن الأنثروبولوجيين كثيراً مايستخدمون مصطلح ثقافة بالنسبة لجماعات قد تكون أكبر أو أصغر من مجتمع معين, فنجد على سبيل المثال أنه كانت تعيش في سهول أمريكا الشمالية قبل استيطان الأوربيين لها ما لا يقل عن واحد وثلاثين مجتمعاً هندياً أمريكياً, وكان لكل من هذه المجتمعات اسمه القبلي الخاص (من هذا الكراو, والتشيين, والأوماها), وثقافته الخاصة ولغته الخاصة التي تختلف في مجموعها عن ثقافات ولغات المجتمعات الأخرى كافة, كما أن كلاً منها كان مستقلاً عن المجتمعات الأخرى من الناحية السياسية, وبرغم ذلك فقد كانت تلك الثقافات الإحدى والثلاثين تتميز بعدد كبير من الخصائص المشتركة فجميع القبائل كانت تصطاد الأبقار لأكلها, وكانت تعيش في مساكن مصنوعة من الأعمدة الخشبية المغطاة بجلد الحيوانات, وكانت جميعها تستخدم الكلاب (ثم الخيول من بعد ذلك) في نقل الأمتعة وفي جر نوع معين من الزحافات البرية المصنوعة من قوائم خشبية. كما كانت كلها تصنع الملابس من جلد البقر أو الإبل وكانت تتفوق جميعاً في تصنيع الجلود وتنتشر بينها جميعاً طريقة الزخرفة بالاشكال الهندسية, كما كان الرجال ينتظمون في جماعات للمحاربين, وكانت البيوت تبنى وفقاً لتنسيق وترتيب معين يشبه ترتيب الخيام في المعسكر, كما كانت تعرف مجموعة معقدة من الطقوس الدينية وكان الرجال يرتبون في سلم التدرج الاجتماعي تبعاً لمهاراتهم في فنون الحرب والقتال. وهكذا لكل مجتمع تمييزاً لها بأنماط ثقافية ومهارات خاصتاً في المجتمعات المحلية الصغيرة التي تكون امتداداً لمجتمع اكبر تتبع نمط ثقافة ممتد منها ولكنها تبقى في النهاية ذات خصوصية تنفرد ببعض الصفات والمميزات الثقافية في فهم الحياة ومعرفة الذات, واكتساب المعرفة والمهارات الجديدة, والاستثمار الذاتي, وخلق شيء ما, وملاحظة جمال العالم الجديد, وعادات التعلم وطريقة السلوك التي يتم تنفيذها طوال الحياة لتطوير المعرفة والمهارات والكفاءات والمؤهلات للأفراد من اجل اشباع

حاجاتهم المادية والمعنوية. (محمد الجواهري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، ٢٠٠٧، الصفحات ١٣١-١٣٢).

إذا اتفقنا أن الأنثروبولوجيا تتخذ من الثقافة موضوعاً لها في دراسة المجتمعات المحلية ويعمقون فهمهم لأبعاد المادة التي يرونها في الحياة اليومية للمجتمع المحلي ويحرصون على ربط الظواهر والجزئيات التي يرونها في تلك البقع المحدودة-زماناً ومكاناً- بما يدور على مستوى المجتمع الكبير, الذي ينتمي إليه ذلك المجتمع.

لقد وضح العالم كلاكهون أن الثقافة تنتقل عن طريق التعليم, ويتم القدر الأكبر من هذا التعليم من خلال أفراد الجماعة الأجتماعيين الآخرين, الذين تعلموا بدورهم سلوكهم الثقافي عن الآخرين. فالثقافة إذن تربط بين الأجيال جميعاً وليس بين الجيل الحالي فقط, وانما تربط بين الجيل السابق الذي منه كبار السن, وبين الأجيال التي لم تولد بعد, التي سوف ينتقل إليها القدر الأكبر من هذا السلوك المتعلم, وبرغم أن الثقافة تنتقل عبر الاجيال, إلا أنها لا تنتقل عن طريق الوراثة كالخصائص السلالية فالاختلاف بين الثقافات لايوجد لأن بعض الشعوب المختلفة تتميز بأختلاف قدراتها الموروثة, وإنما ينجم هذا الاختلاف عن اختلاف التنشئة التي نما الأفراد في ظلها. فنحن نتعلم كيف نتكلم, وكيف نتصرف بالطريقة التي نتصرف بها, بسبب علاقتنا وأرتباطاتنا اليومية, فإذا تغيرت هذه الارتباطات تغيرت عاداتنا في الكلام وفي السلوك فالأطفال لا يكونون مزودين عند الميلاد بأساليب من صنع الثقافة, وإنما هم يكتسبون هذه الأساليب من خلال نموهم في المجتمع, وكنتيجة لعملية تعلم طويلة ومعقدة. (محمد الجواهري، المصدر السابق، صفحة ١٥٥) ويبدو أن الفوارق الكبرى بين الجماعات من حيث الإنجاز التعليمي والمهني والمعرفي تؤلف مثالاً واضحاً لأهمية الثقافة مادام الولع بالتعليم سيكون أولاً وقبل كل شيء في صورة واقع ثقافي, ولكن المسألة ليست بهذه البساطة ذلك أن الولع بالتعليم وما يترتب على ذلك من نجاح مسألة تتباين بأختلاف الطبقات الاجتماعية وتقبلها لما هو جديد, ومن المسلم به أن أي توجهاً نحو التعلم من نمط ما يمكن أن يتحول إلى توجه نحو تعلم نمط مغاير تماماً عن السابق وهذا يتوقف على مستوى تقبل تلك الجماعة لذلك النمط. (لورانس إ. هاريزون، ٢٠٠٩، صفحة ٣٩١)

هناك مجموعة كبيرة من الإستراتيجيات والطرق المقترحة للاستجابة للمطالب والاحتياجات الاجتماعية باستخدام المعرفة الأنثروبولوجية, وفي الوقت نفسه علينا أن نفكر في التغيرات التي أحدثتها الأنثروبولوجيا من ذوي الخبرة في السعي للتكيف مع السياقات الجديدة للمشاركة التي تحتاج إلى التطور والنمو فيها, وتشمل الظواهر الاجتماعية الحالية التي اجتذبت اهتمام البحث الأنثروبولوجي والتطبيق العملي عمليات العولمة والتغيرات التكنولوجية في وسائل الإعلام والمساحات الاجتماعية الجديدة الناشئة عن الإنترنت وزيادة نزوح الناس حول العالم, ويحتاج ظهور هذه الظواهر الاجتماعية إلى التفصيل مع الفحص المعرفي والمنهجي والأخلاقي للأنثروبولوجيا, والذي أدى إلى تأثير المسارات المختلفة للبحث والممارسة الأنثروبولوجية, أو الدور من عالم الأنثروبولوجيا كمدافع وميسر ومتعاون, وتؤثر هذه التغيرات العميقة في تطوير تخصصنا أيضاً على تصور العمل الميداني, والذي يحتاج الآن إلى مزيد من المشاركة في السياقات متعددة الجوانب والتي تدفع هذه الديناميكية الأنثروبولوجيا إلى عبور حدود الأوساط الأكاديمية بطريقة تجعل وجودها في السياقات الاجتماعية والمهنية الاخرى أمراً شائعاً. (Hernandez Sanchez, 2013, pp. 12-13).

وهناك توجهات للكشف عن كيفية إنتاج المعرفة الأنثروبولوجيا فلم يعد الموضوع مجرد جمع بيانات إثنوجرافية من الميدان, بل تعداها الى وجوب التركيز على الواقع ونسبية الثقافة, وعقد المقارنات الثقافية للسلوك البشري, مع عدم إغفال البعد التاريخي إي تحقيق الكلية من المنظور الأنثروبولوجي وتركز الموضوعات أيضاً على التحولات الثقافية, وعلى الاتصال الثقافي, ولايقتصر جمع البيانات على الانثروبولوجيا الثقافية, بل تجمع أيضاً من علوم أخرى مثل: علم الأركولوجيا واللغويات والانثروبولوجيا الفيزيقية, من أجل تحقيق الشمولية والكلية من المنظور الأنثروبولوجي (Rubel, 1994, pp. 335-336), وتقدم أنتى وينر Annette B. Waner وهي واحدة من الأنثروبولوجيين المعاصرين رؤية جديدة للأنثروبولوجيا المعاصرة إذ ترى أن قوة الأنثروبولوجيا تأتي من تمتعها بوسائل منهجية قوية تمكن من الوصول إلى العمق في

الدراسة الحقلية, لذا فهي تأتي دائماً بالجديد والمهم, وتمتد المعالجة المعاصرة للموضوعات المدروسة إلى التحليل في ضوء فهم التحولات التي تحدث في النسق الاجتماعي سواء على مستوى الوحدة الصغرى أم الكبرى وبهذا تتكامل مناهجها مع التطورات البحثية إذ يسيطر الآن على الدراسة فهم التحولات المجتمعية في ظل النسق العالمي سواء انبثق هذا الفهم من الدراسة الحقلية أم تماثل مع الأنساق الأخرى التي تسيطر على الدراسة, وقد وضحت أنتى وينر اهتمام الانثروبولوجيا الدائم بمفهوم الثقافة, وقد بدأ هذا الاهتمام مع بداية القرن العشرين كرمز وإسهام للتطبيع العقلي, فالثقافة اليوم في صراع مع الثقافات السائدة في النظم الأخرى –خاصة المتعلقة بقواعد السلوك حيث تأثير العولمة خاصة الاقتصادية والثقافية لذا تعد الثقافة محوراً مهماً في الأنثروبولوجيا (Weiner, 1995, pp. 14–15) , وتتفاعل الانثروبولوجيا المعاصرة مع متطلبات الواقع وظروفه وما يشاهده من تغيرات وتحولات, ويصبح منهجاً فعالاً ومرناً من خلال تركيزها على التحولات والتطورات التكنولوجيا وتأثير العولمة الثقافية على المجتمعات, واتساع نطاق المعرفة بفضل التقدم التكنولوجي وانتقال منتجات ثقافية من مجتمع إلى اخر, وتدخل تلك المنتجات كمفردات ثقافية تهدد الثقافة المحلية من أجل ان تحل محلها, وتكون الإشكالية هنا ليس البحث عن نمط التمفصل الثقافي ولكن البحث عن الطرق التي تؤكدها تلك الثقافة أو ما يطلق عليه "صناع الثقافة" أو" إنتاج الثقافة" وهنا يكمن دور الانثروبولوجيين في رصد تلك التغيرات التي تحدث في المجتمعات والمسألة لاتقف عند هذا فحسب بل توثيق البيانات من خلال الاستفادة من التطور التكنولوجي, مع إبراز ملامح التمييز بين الثقافة التقليدية والوافدة لذلك المجتمع وكيفية تقبلها أو رفضها من قبل أفراد المجتمع. (Featherstone, 2000, p. 161)

ثبت المصادر:

أولاً: المصادر العربية

١- أحمد ابو هلال, (مقدمة إلى الانثروبولوجيا), ط٢, مكتبة النهضة الاسلامية للنشر والطباعة, عمان, الاردن, ١٩٧٩

٢- إدغار موران, (المنهج معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة), ترجمة د. جمال شحيد, ط١, المنظمة العربية للترجمة, بيروت, ٢٠١٢

٣- ألسندرو دورانتي, (الأنثروبولوجيا الألسنية), ترجمة درويش فرانك, ط١, المنظمة العربية للترجمة والنشر, بيروت,٢٠١٣

٤- د. حسين فهيم, (قصة الأنثروبولوجيا), عالم المعرفة, الكويت, ١٩٨٦

٥- عبد الرزاق الدواي, (في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات), ط١, المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, بيروت, ٢٠١٣

٦- فوزية زنقوفي, (البناء التنظيمي للمؤسسات- مقاربات سوسيولوجية), دار الايام للنشر والتوزيع, عمان, الاردن, ٢٠٢١

٧- كليفورد غيرتز, (تأويل الثقافات), ترجمة د. محمد بدوي, ط١, المنظمة العربية للترجمة, بيروت, ٢٠٠٩

٨- لورانس إ. هاريزون, صمويل ب. هنتنجتون, (الثقافات وقيم التقدم), ترجمة شوقي جلال, ط٢, المركز القومي للترجمة والنشر بالعربي, القاهرة, ٢٠٠٩

٩- مصطفى تيلوين, (مدخل عام في الانثروبولوجيا) ط١, دار الفارابي, منشورات الاختلاف, بيروت, ٢٠١١

١٠- محمد الجواهرى, علياء شكري, (مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا), القاهرة, ٢٠٠٧

ثانياً: المصادر الاجنبية

11- Annette Weiner, Culture and out Discontents, American Anthropologist, 1995.

12- Chen, L., Lee, M-Y., Wu, J., (Analysis of Higher Education and Management Model Based on Cognitive Anthropology), Cognitive Systems Research, 2018.

13- Dan Sperber, on Anthropological Knowledge, University Press.

14- Hernandez Sanchez,C., Anthropology and Initiation of Teachers Training, Berghahn Books and the Association for Anthropologyin Action, 2013.

15- Mike Featherstone, Archiving Cultures, British Journal of Sociology, 2000.

16- Rubel, Paula and Rosman, Abraham, the Past and the Future of Anthropological Research, 1994.